المقدمـــة

تتميز محافظة العُلا بسجل جيولوجي وتضاريسي حافل، كما عاشت على أرضها العديد من الحضارات البشرية على امتداد عصور ما قبل التاريخ و العصور التاريخية المتعاقبة .ومع هذا التميز الطبيعي ـ التاريخي، إلا أن هناك ندرة في دراسات الجغرافيا التاريخية لأجزائها المختلفة لربط ماضيها بحاضرها، فجغرافية الحاضر تكتسب عمقاً ومعنى بالرجوع إلى جغرافية الماضي .

يزخر موقع شِرْثْ شرقي محافظة العُلا بالعديد من الإمكانيات الطبيعية والتاريخية التي تحتاج لدراسات ميدانية مكثفة في الجغرافيا التاريخية.تتمحور إشكاليه البحث ـ وهو الأول من نوعه في منطقة البحث المذكورة أعلاه ـ في محاولة الإجابة على سؤالين مهمين هما : لماذا اختار الإنسان موقع شِرْثْ لبناء حضاراته المتتابعة ؟ وهل يمكن إعادة توطين السكان فيها وإحداث تنمية إقليمية بها في الوقت الراهن، باستغلال إمكانات المنطقة كما حدث في الماضي .وتكمن الإجابة عن السؤالين المذكورين في محاولة بناء جغرافية الماضي (الطبيعي والبشري) للمنطقة عبر دراسة ميدانية جغرافية ـ آثارية مشتركة لربط الجغرافيا بالتاريخ وتفعيل نتائج الدراسة بما يخدم حاضر المنطقة ومستقبلها.

و لذا تتمثل أهداف البحث فيما يلي :

١- تقصي مراحل تطور البيئة الجغرافية لمنطقة الدراسة عبر التعرف على خصائص التكوينات الصخرية في الدهور و الأزمنة والعصور الجيولوجية المتعاقبة، وما

صاغته الأحداث الجيولوجية من أشكال سطح الأرض، وتتبع الظروف المناخية القديمة وبخاصة دورات الرطوبة والجفاف وتفصيل الموارد المائية السطحية، وتحديد السمات التضاريسية لمنطقة الدراسة من أودية وشواهد صخرية وكثبان رملية وقيعان وهضاب والتعرف على مراحل نشأتها وتطورها، وتحليل ورصد عناصر المتحف الطبيعي المفتوح من أشكال حَتِّية نحتتها عوامل التعرية من مياه وأمطار ورياح، ودور كل ذلك في توطن الإنسان واستثماره لعناصر بيئته في بناء حضارته.

٢- التعرف على تاريخ وحضارة منطقة الدراسة عبر إجراء حفريات في أربعة مواقع أثرية متجاورة، وحصر ودراسة الفنون الصخرية والكتابات القديمة لتبيان كيفية استخدام الإنسان لعناصر البيئة لبناء حضارته.

٣- تنمية الحس الوطني بأهمية التراث الحضاري، والضرورة المُلِحَة لحمايته وتوظيف نتائج الدراسة لخدمة التنمية في المنطقة لا سيما في المجالين السياحي والزراعي.

ونظراً لكون البحث يشتمل على موضوعات طبيعية وتاريخية، و حتمية ارتباط الظاهرة الجغرافية بالزمان والمكان فقد تم استخدام المناهج والأساليب التالية :

١- المنهج الجغرافي: هو منهج يختص بتحليل السمات الجيومورفولوجية لظاهرات سطح الأرض وتوزيعها الجغرافي ومراحل تكوينها والظروف المناخية التي شكَلتها وأثر كل ذلك على حياة الإنسان وتطور حضارته.

٢- المنهج الاستقرائي الاستردادي: يساعد هذا المنهج في استقراء التطور التاريخي لتحديد الحقائق التاريخية وتصنيفها والتأليف بينها.

٣- المنهج الآثاري: وهو المنهج الذي يُعنى بالبحث عن الأنشطة والشواهد الحضارية للإنسان ويشتمل على المسح الميداني وتوثيق الآثار والتنقيب عنها بطريقة علمية ودراسة المعثورات وتحليلها.

وتمت خدمة المناهج المذكورة بالأساليب الآتية:

١- الأسلوب المعملي (المختبري): وهو أسلوب يدرس ظروف وعوامل وتركيب الظاهرات الجغرافية والآثارية ونتائجها في مواضعها الأصلية الطبيعية وفي المختبرات للتزود بالمعلومات التي تمكن من إجراء عمليات التحليل والتفسير واكتشاف الحقائق واستخلاص النتائج.

٢- أسلوب المعاينة الحقلية: يتضمن هذا الأسلوب رصد للظاهرات الطبيعية وأخذ عينات من الصخور والتربة، و إجراء أعمال حفريات علمية في أربعة مواقع أثرية وتحليل المعثورات من بقايا عظمية بشرية وحيوانية ونباتية. واستغرقت الدراسة الميدانية أربعة عشر يوما من خلال معسكر أقيم في موقع شِرْثْ خلال الفترة الممتدة من ٧/٢٨ إلى ١٤٢٦/٨/١٢هـ (لوحة١أ، ب) (لوحة رقم٢) (انظر ملحق اللوحات).

٣- الأسلوب الكمي: وهو أسلوب يُفَصِّل الخصائص المورفومترية للظواهر الجغرافية ورصد تغيراتها في الزمان والمكان، مع حساب الخصائص الهيدروجيومورفولوجية للمتغيرات التضاريسية والعوامل المؤثرة فيها.

٤- الأسلوب الخرائطي: استخدم هذا الأسلوب في تحليل الظواهر الجغرافية وإبراز التباينات المكانية وأنماطها، كما استخدم في رسم عدد من الخرائط والأشكال كالخرائط الجيولوجية والخرائط الطبوغرافية والخرائط الكنتورية والأشكال البيانية والرسوم اليدوية للظاهرات الطبيعية، ورسم المساقط والقطاعات الأفقية والرأسية الموضحة لطبقات الحفريات وتسجيل الظواهر الأثرية.

كما تم دعم عمليات الشرح والتحليل باللوحات الفوتوغرافية التي التقطها أفراد الفريق العلمي لتوثيق عمليات التنقيب الأثري بكافة مراحلها، ورصد الظواهر التضاريسية أثناء العمل الميداني والتجوال في منطقة الدراسة. بالإضافة للاستعانة بالوسائط الإعلامية المتعددة لرصد تفاصيل الفنون الصخرية.

ويتكون متن البحث من فصلين يغطي الفصل الأول جغرافية ما قبل التاريخ حيث تشكلت البيئة الجغرافية عبر الحقب الزمنية المتتالية ويتألف من أربع فقرات رئيسة، تعالج الفقرة الأولى خصائص التكوينات الصخرية والأحداث الجيولوجية الكبرى التي صاغت مظاهر السطح، وترصد الفقرة الثانية مظاهر التغيرات المناخية، وتُفَصِّل الفقرة الثالثة الموارد المائية السطحية، وترسم الفقرة الرابعة المشهد التضاريسي بكافة عناصره من وديان وشواهد صخرية وقيعان وغطاءات رملية وهضاب .أما الفصل الثاني فيختص بالجغرافيا البشرية لعصر ما قبل التاريخ و العصر التاريخي فيحلل المنجزات الحضارية في الموقع ويتكون من فقرتين تبحث الأولى في جغرافية محافظة العُلا التاريخية من حيث علاقاتها المكانية والحضارات التي عاشت على أرضها وتركز الفقرة الثانية على حضارة موقع شِرْث، فتركز على وصف وتحليل المظاهر المعمارية والنشاطات الاقتصادية والثقافية في عصر ما قبل التاريخ و في العصر التاريخي .

وفي الخاتمة نأمل أن نقدم محاولة لبناء جسر بين الماضي والحاضر عبر توظيف الخصائص التضاريسية والحقائق التاريخية والشواهد الأثرية في إنعاش وتنمية الواقع المعاصر للمحافظة.

وتتمثل أهم مصادر البحث فيما يلي :

١- الدراسات الجيولوجية التي تناولت التكوينات الجيولوجية من حيث دهورها و أزمانها وعصورها ومكوناتها الصخرية وتراكيبها المختلفة.

٢- الدراسات الجيومورفولوجية التي تناولت معالم المظهر الخارجي من حيث نشأتها ومراحل تطورها عبر الزمن .

٣- الدراسات الميدانية التي أجراها فريق العمل العلمي الجغرافي /الآثاري على كلٍ من الجانب الطبيعي عبر رصد وتحليل وقياس الظاهرات الطبيعية، وعلى الجانب الأثري عبر الحفريات في المواقع الآثارية المكتشفة، ورفع الفنون الصخرية والكتابات القديمة.

ـ الدراسات التاريخية والأثرية التي تناولت الحضارات التي عاشت على أرض محافظة العُلا.

ملخص

يتمتع موقع شِرْثْ شرقي محافظة العُلا بمشاهد طبيعية رائعة ومراكز حضارية قديمة وإمكانيات تنموية عديدة، كشفت عنها دراسة الجغرافيا التاريخية للمنطقة قام بها فريق جغرافي /آثاري، تناول فيها سطح وإنسان المنطقة عبر عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي، باستخدام المناهج : الجغرافية ، الاستقرائية الاستردادية و الآثارية والأساليب : المعملية، الحقلية، الكمية و الخرائطية.

تتكون الدراسة من محورين رئيسين، ركّز فيها المحور الأول على ظاهرات سطح الأرض من حيث نشأتها وتطورها بفعل الأحداث الجيولوجية والمناخية التي تؤثر كلا منها بالأخرى وتتأثر بها، وتتمثل الأحداث الجيولوجية في رصد تطور العلاقة بين اليابس والماء وما نجم عن ذلك من تنوع الصخور، وتوضيح دور الحركات الأرضية (التكتونية) في تصدع هذه الصخور والتوائها وخروج الصهير البركاني من الأرض، الأمر الذي أعطى المشهد التضاريسي الجيولوجي إطاراته وسماته كالهضاب والحافات الانكسارية والأخاديد.أما الأحداث المناخية فهي العوامل الخارجية التي ساهمت في تعديل المظهر التضاريسي كعمليات تفكك الصخر وتحلله، وفعل المياه الجارية والتي كونت مجتمعة ظاهرات نحت كمجاري الأودية، وظاهرات إرساب كالسهول الفيضية، وظاهرات شاخصة كالشواهد والمنحوتات الصخرية والموائد الصحراوية والقيعان والكثبان الرملية.

وتناول المحور الثاني حضارات موقع شِرْثْ في عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي ، وتمت الدراسة الميدانية للمواقع الأثرية عبر المشاهدة والتسجيل التصويري والخرائطي ، ثم مرحلة الفحص والوصف ومرحلة المقارنة في الربط والتأريخ للمنشآت المعمارية والجنائزية والرسوم الصخرية والكتابات القديمة.وتبين أن جذور حضارات المنطقة تعود إلى العصر الحجري القديم واستمرت في العصور الحجرية التالية : الوسيط والحديث وصولا إلى العصر التاريخي والعصر الإسلامي.وقد نضجت التحولات الاجتماعية والاقتصادية لحضارات المنطقة عبر تلك العصور ، حيث تحول الإنسان من مرحلة الجمع والالتقاط والصيد البدائي إلى مرحلة الصيد المنظّم ، ثم مرحلة بذر الحبوب وتربية الحيوان وصولا إلى الثورة الثقافية الكبرى في مرحلة اختراع الكتابة.وهكذا تحولت قرى الصيادين المؤقتة إلى قرى مزارعين مستقرة وظهرت المساكن وتشكلت نويات التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والديني.

وتحفز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، القيام بمبادرات لتفعيل تنمية المنطقة باستثمار مواهبها الطبيعية والآثارية التي تمثل إمكانيات سياحية كامنة تلبي العديد من أنواع السياحة الحديثة كما في المشاهد الطبيعية المبهرة للخوانق النهرية والمسرح المفتوح للمنحوتات الصخرية والكثبان الرملية ، ومواقعها الأثرية ببيوتها ومقابرها ورسومها ونقوشها الحجرية.كما الفرصة سانحة لزراعة المناطق السهلية ذات التربة الخصبة والمياه الجوفية يساندها في ذلك مشاريع لتشييد السدود على شبكات الأودية والبحث عن المعادن في التكوينات الصخرية المتنوعة.